Embodied oppression: A study of structural frameworks and lived experiences

“具身压迫：结构框架和生活经历的研究”

تاريخ تسلُّم البحث : 2023/5/14

تاريخ قبول البحث : 2023/5/30

حنان خلف الخلف

Hanan Khalaf Alkhalaf

أستاذ فلسفة الذهن المساعد

كلية الآداب–جامعة الكويت

hanan.alkhalaf@ku.edu.kw

https://orcid.org/0000-0002-9725-313X

محمد شهاب الوهيب

Mohammad S. Alwahaib

أستاذ الفلسفة المعاصرة المشارك

كلية الآداب–جامعة الكويت

m-alwuhaib@yahoo.com

https://orcid.org/0009-0005-5704-0761

Abstract:

Iris Marion Young presented an analysis of a new type of oppression that is not the result of deliberate decisions of a tyrannical authority, but rather a type of oppression that is performed by individuals who are part and parcel of modern societies and believe in democratic values. Young explained that such an oppression can be the result of some hidden structures which are embedded in traditional legal systems, institutions and social roles. Such structures form the frameworks of collective identities which are experienced by individuals through embodied consciousness.

This study aims to explicate the concept of embodied oppression by revealing the aspects of the collective experiences that are related to the structures of oppression, by drawing on the philosophy of Edmund Husserl, Martin Heidegger, and Maurice Merleau-Ponty.

The first part of this study deals with defining the problem and some basic concepts such as the concept of embodied oppression and its five forms. The second analyses the historically precipitated structures of oppression and their role in the formation of oppressed groups. The third part sheds light on the importance of the use of existential phenomenological methods in revealing the various aspects of embodied oppressed experiences.

Key Words: Oppression, embodiment, Life-world, collective identity, Dasein.

مستخلص:

تقدم أيرس ماريون يونغ تحليلا لنوع جديد من الاضطهاد ليس نتاج قرارات مقصودة لسلطة طاغية، بل هو نوع من الاضطهاد يمارسه أفراد ينتمون لمجتمعات حديثة تؤمن بقيم الديموقراطية. تفسر يونغ هذه المفارقة من خلال رد هذا النوع من الاضطهاد إلى بُنى من القيم والافتراضات الخفية المترسبة في القوانين والمؤسسات التقليدية والأدوار الاجتماعية التي تشكل أطر الهويات الجمعية التي يعيشها الأفراد من خلال الوعي المتجسد.

تهدف هذه الدراسة إلى توسيع مفهوم الاضطهاد المتجسد من خلال الكشف عن جوانب الخبرات التي تعيشها الجماعات والمرتبطة ببنى الاضطهاد من خلال الاستعانة بفلسفة كل من إدموند هوسرل ومارتن هيدغر وموريس ميرلوبونتي.

يتناول الجزء الأول من الدراسة تحديد المشكلة وبعض المفاهيم الأساسية، مثل مفهوم الاضطهاد المتجسد وأشكاله الخمسة. أما الجزء الثاني فيقوم بتحليل بُنى الاضطهاد المترسبة تاريخيا، ودورها في تشكيل الجماعات المضطهدة. وفي الجزء الثالث نقوم بتسليط الضوء على الفينومينولوجيا الوجودية بهدف الكشف عن جوانب الخبرة الاضطهادية المتجسدة.

الكلمات الدالّة: الاضطهاد، الوعي المتجسد، عالم-الحياة، الهوية الجمعية، الدازاين.

المقدمة

في كتابها *العدالة وسياسات الاختلاف*(1990)، تعرض آيرس ماريون يونغ(1949-2006)

[1] نوعاً من الاضطهاد ليس نتاج أفعال مقصودة لحاكم طاغ أو لفئة مستبدة في مجتمع غير عادل، بل هو نتاج أفعال مواطنين يمارسون حياتهم اليومية في مجتمع يطبق قيم الحداثة ويتخذ من الديموقراطية والدستور المدني منهجًا للحياة. وتفسر يونغ هذه المفارقة من خلال إرجاع هذا النوع من الاضطهاد إلى "بُنى" من القيم التقليدية والافتراضات الخفية المتأصلة في قوانين المؤسسات، ومن خلال الأدوار الاجتماعية المرتبطة بهذه القيم التقليدية، والتي يعيشها الأفراد في مجتمعاتهم الحديثة من خلال الوعي العملي أو الوعي المتجسد كما سنطلق عليه لاحقا. على الرغم من اهتمام يونغ (2005) بفهم "علاقة الأجساد المعيشة بهذه البنى" (ص. 25)، أو بـ"الكيفية التي يعيش فيها الجسد موقعه في البنى الاجتماعية " (ص. 26)، فإنها لم تقدم دراسة توضح هذه العلاقة.

وبناء على ذلك، تهدف هذه الدراسة إلى التعمق في فهم طبيعة ما نطلق عليه "الاضطهاد المتجسد" من خلال الكشف عن جوانب الخبرات التي تعيشها الجماعات والمرتبطة ببنى الاضطهاد من خلال الاستعانة بفلسفة كل من إدموند هوسرل (1859-1938) ومارتن هيدغر (1889-1976) وموريس ميرلوبونتي (1908-1961). وبناء على ذلك فسوف تكون المنهجية المتبعة في هذه الورقة هي المنهجية البنيوية، والمنهجية الفينومينولوجية-الوجودية.

في الجزء الأول من دراستنا سيتم التركيز على تحديد المشكلة وبعض المفاهيم الأساسية، مثل: مفهوم الاضطهاد المتجسد وأشكاله الخمسة. وفي الجزء الثاني من هذه الدراسة فسيتم توجيه بحثنا نحو تحليل بُنى الاضطهاد المترسبة تاريخيا، ودورها في تشكيل الجماعات المضطهدة. أما الجزء الثالث من الدراسة فسنقوم بتسليط الضوء على الفينومينولوجيا الوجودية بهدف الكشف عن جوانب الخبرة الاضطهادية المتجسدة، ومن خلال الاستعانة بفلسفة كل من إدموند هوسرل، ومارتن هيدغر، وموريس ميرلوبونتي.

أولا. في مفهوم الاضطهاد المتجسد وأشكاله:

أ. في تحديد المشكلة و مستويات الوعي:

تعتقد يونغ بأنه على الرغم من أن مجتمعات الثقافة الغربية قد تقدمت كثيرا في موضوع المساواة في الحقوق بين جميع الأفراد على المستوى الاجتماعي وبدعم على المستوى القانوني، وبالرغم من اعتراف هذه المجتمعات بجميع الشرائح المجتمعية الموجودة دون تفرقة بين اصولهم العرقية أو الدينية أو النوع الاجتماعي أو العمر، فإن اضطهاد الجماعات مازال يمارس على مستوى من الوعي أسمته ب"الوعي العملي" وهو يمثل مستوى أدنى من مستوى الوعي التمثيلي (التأملي). تستعين يونغ بالنظرية الذاتية لأنتوني جدنز لشرح هذه الممارسات الاضطهادية .

وفي كتابه " تشكيل المجتمع" يعتقد جدنز (1984) بأن التفاعل الاجتماعي بين الافراد يكون على مستويين من الوعي. المستوى الأول هو المستوى "الفكري الواعي" ويشمل هذا المستوى جوانب التفاعل بين الأفراد، والمواقف المعتمدة على التفكير والحوار المباشر بين الأفراد. في هذا ا المستوى يقوم الأفراد بالتأمل والتفكير إزاء المواقف التي يواجهونها. أما المستوى الثاني من الوعي فيسميه بالوعي العملي ويشمل حصيلة المعارف العملية والعادات الخاصة بسلوك الأفراد في المجتمع. وعادة يقوم الأفراد بالتصرف المباشر المناسب حيال المواقف التي يواجهونها في حياتهم العملية دون الحاجة الى التفكير والتأمل، وهي بمثابة معرفة جسدية تتم على المستوى الجسدي وليس الفكري، فأغلب سلوكيات الأفراد المتكررة والروتينية في المجتمع تكون على هذا المستوى ، ومثال على ذلك الأعمال اليومية التي نقوم بها أو التصرف حيال أي موقف اجتماعي يواجهنا.

وفي مقاربة يونغ حالة الاضطهاد في المجتمعات الحديثة وفق نظرية جدنز، يتجلى الوعي العملي على مستوى خبرات التعامل اليومي والمباشر بين أفراد الجماعات، اذ على هذا المستوى يكون للأحكام والتنميط والفروقات العرقية والجنسية والدينية دورٌ في تحديد تعامل الفرد مع الآخرين. فعلى سبيل المثال تظهر قيمة الفوقية والحذر، والاشمئزاز في تعامل الرجل الأبيض مع الرجل الأسود. أيضا تتجلى مظاهر القلق في تعامل الرجل المباشر والغير مباشر مع المرأة . وفي المقابل يعيش أفراد الجماعات المهمشة خبرات مباشرة من الشك وهبوط المستوى والتنميط الاجتماعي . ما يستحق ملاحظته هو أن أغلب هؤلاء الذين يمارسون سلوكيات الاضطهاد هم بشكل واع مقتنعون وملتزمون بجميع قيم المساواة والاحترام تجاه الجماعات الأخرى (ص. 134). كما أنهم في الأغلب على غير وعي بممارساتهم الاضطهادية أو بشعور الآخرين تجاه تلك الممارسات.

تفسر يونغ اختزال هذه الممارسات الاضطهادية من المستوى الواعي الى المستوى العملي بأن الثقافة السائدة تعمل على عزل المعرفة العقلية عن المعرفة الجسدية، وإعطاء المعرفة العقلية قيمة أكبر، وفي المقابل التقليل من قيمة ودور المعرفة الجسدية وإيماءات السلوك في إحداث ممارسات الاضطهاد. إن عدم الاعتراف بفاعلية المعرفة الجسدية في إحداث مثل هذه الأضرار يجعل من الشكاوى المقدمة من أصحاب هذه التجارب الاضطهادية شكاوى لا أساس لها من الصحة أو تتضمن سوء فهم للموقف أو ردود فعل مبالغ فيها. وبناء عليه يضطر أفراد هذه التجارب إلى أن يعيشوا هذا المستوى من الاضطهاد بصمت.

تحدث مثل هذه الممارسات العملية للاضطهاد أيضا على مستوى السياسات العامة و الممارسات الحكومية التي لا يكون في نية المشرع أو صاحب القرار النية في الاضطهاد والتمييز، حيث إن الممارسات الاضطهادية ضد الجماعات تأتي مغلفة وتحت مسميات ومعايير قد لا تكون اضطهادية في حد ذاتها. على سبيل المثال تقوم بلدية الحكومة الأمريكية ببناء فواصل جدارية بين المناطق التي يقطن معظمها البيض عن مناطق السود تحت مسمى تنظيم المدينة. أيضا تهدف السياسات الحكومية الخاصة بالإسكان في ظاهرها تقديم المساعدة للمواطنين، ولكن في الواقع هي تأصيل لحالة الفقر التي يعاني منها أغلب هؤلاء المواطنين. إن من يتمعن في المعاني الثقافية لهذه السياسات والقرارات فسوف يجد أن الفواصل الجدارية تعني العزلة، وأن المنازل الحكومية تعني مناطق الفقراء (Young, 1990, p. 135).

وتساهم الوسائل الإعلامية ووسائل التواصل الاجتماعي في دعم الممارسات الاضطهادية ضد الجماعات الاثنية والمرأة وكبار السن، من خلال البرامج التي تظهر عنف الرجل الأسود وإغراءات المرأة وعجز المعاقين وكبار السن. هذه البرامج تساهم في استمرارية وتأصيل معاني الكراهية والتقليل من الشأن من خلال المشاهد وسلوكيات الممثلين، وعند مواجهة أو انتقاد مثل هذه الممارسات يكون الرد بأن هذه التصورات لا تسبب أي ضرر، لأن المشاهد يعرف أنها غير حقيقية، فطالما أن على المستوى المعرفي الواعي المشاهد يقر بعدم صحة هذه الخيالات فإذن لا ضرر ولا تأثير من عرضها. ويتضح في هذه الردود الفصل الواضح بين العقل والجسد وعدم ارتباط العقل بالجسد.

ب. خمسة أشكال للاضطهاد العملي:

1. الاستغلال:

تقدم يونغ تصور الاستغلال كأحد أشكال اضطهاد الجماعات وتستعين بتحليل كارل ماركس لفكرة الاستغلال الطبقي لتوضيح هذا النوع من الاضطهاد. ففي الأنظمة الاقتصادية السابقة على النظام الرأسمالي، كالنظام الاقطاعي والعبودي ينشأ الاستغلال بين الجماعات عندما يتمكن بعض الأفراد من الاستحواذ على نتاج عمل بقية الأفراد. ويساهم المجتمع في هذا الاستغلال من خلال إضفاء شرعية على الاستحواذ ومن خلال تبنيه لأيديولوجية التفوق الطبيعي وغرس عقدة النقص لدى الطبقات المستغلة. بالرغم من أن الرأسمالية قد اتجهت نحو إزالة الفروقات الطبقية التي خلفتها الأنظمة الاقتصادية السابقة ، حيث أصبح الناس متساوين أمام القانون وأحرارًا في تعاقدهم مع أصحاب العمل (ص. 48)، إلا أن هذا النظام لم يستطع القضاء

على اضطهاد العاملين متمثلا بالاستغلال. إن تراكم الثروة لدى بعض الأفراد وامتلاكهم لوسائل الإنتاج وسيطرة هؤلاء الأفراد على السوق قد مكنهم من فرض شروط العمل وقيمة الأجور على العاملين، وقد تم استغلال ذلك لمصلحة الرأسمالي.

تعتقد يونغ أنه بالرغم من نجاح الماركسية في تقديم تحليلا لاضطهاد الجماعات في المجتمعات الرأسمالية فإنها قد أخفقت في اختزالها الاضطهاد إلى نوع واحد من الاضطهاد وهو اضطهاد الطبقة الكادحة. هذا التصور لمفهوم اضطهاد الجماعات لا يستوعب أشكالًا أخرى من الاضطهاد غير الاستغلال الطبقي، كما أنه لا يستوعب جماعات أخرى غير الطبقة الكادحة. هذا ما أشارت إليه الدراسات النسوية التي بينت نوعا آخر من استغلال الجماعات يتمثل باستغلال الرجال للنساء. تقول يونغ :

" اضطهاد المرأة لا يشمل فقط عدم التساوي في كل من المكانة والقوة والثروة الناتجة من عزل الرجال لهن من بعض الأنشطة المميزة. إن الحرية والسيطرة والمكانة وتحقيق الذات للرجال ممكنة بسبب عمل النساء لهم. استغلال النوع الاجتماعي له وجهان. أحدهما هو انتقال ثمار العمل المادي لهم وكذلك ثمار طاقات الحضانة و الجنس للرجل"(ص. 50)

إذ يتمثل استغلال الرجل للمرأة من خلال الاستفادة من قيامها بحصته في المشاركة في حضانة و إدارة المنزل مما يعطيه متسعا من الوقت والحرية ليقوم بأعمال أخرى متنوعة وخلاقة، ولولا ذلك لما أستطاع الرجل تحقيق المكانة والتفوق الاجتماعيين اللذين يحظى بهما في يومنا هذا.

تساند كريستين ديلفي (1984) وجهة نظر يونغ في أن الاستغلال هو أحد الأسباب التي أدت إلى اضطهاد النساء . ففي نظرها أن اضطهاد النساء ليس مرتبطا بالضرورة بعملهن في المنزل وإنما يكون من خلال قيامهن بمهام لشخص يعتمدن عليه . فعلى سبيل المثال في بعض المجتمعات تتولى المرأة عملية الإنتاج الزراعي في حين يتولى الرجل عملية بيعها مما يعطيه الفرصة للاستيلاء على الإنتاج. أيضا تؤيد آن فيرجسون (1989) فكرة استغلال النساء من خلال انتقال طاقتهن للرجال من خلال الجنس والدعم العاطفي والرعاية. هذا ما تقوم به المجتمعات الإنسانية إذ أنها تخلق نمطا اجتماعيا للنساء يجعلهن عرضة لاستغلال الرجال. وفي المقابل لا نجد نمطا اجتماعيا للرجال يتيح انتقال طاقتهم إلى النساء، إذ في أغلب الأحيان لا تجد المرأة دعما من الرجل مماثلا لدعمها له. الخلل في هذه الأنماط الاجتماعية وبالأخص النمط الاجتماعي للمرأة هو في استهلاكه لكمية ووقت طاقة المرأة لصالح الرجل بدلا من استخدامها وإطلاقها في أمور أخرى أكثر خلاقة (Young, 1990, p. 50).

2. التهميش:

يتمثل الشكل الثاني للاضطهاد الاجتماعي بالتهميش. وتقوم يونغ بتحليل ظاهرة التهميش في المجتمعات الرأسمالية وبالأخص في الولايات المتحدة حيث تعتبر المهمشون هم من لا يستوعبهم نظام العمل القائم في هذه المجتمعات؛ عادة يكون مرتبطا بالجماعات المفروزة عرقيا مثل السود والسكان الأصليين وغيرهم من المهاجرين. أيضا من يشملهم هذا النوع من الاضطهاد

هم المتقاعدون والنساء اللاتي يعلن أطفالهن والمعاقين. وتتمثل خطورة هذا النوع من الاضطهاد بعزل الأفراد الذين ينتمون إلى هذه الجماعات من المشاركة في الحياة العامة، وبالتالي المساهمة في إمكاناتهم الاجتماعية كما أنه يحرمهم الاستفادة من المنتجات الاستهلاكية بشكل متساو مع باقي الجماعات الأخرى في المجتمع (ص. 54).

ارتبط التهميش في المجتمعات الديموقراطية الأولى بحق المواطنة الذي خص هذا الحق بالشخص العاقل المستقل اجتماعيا، وبناء عليه منحت المواطنة للرجل بينما حرمت منها جماعات أخرى كالمرأة والفقراء والأطفال المعاقين . وقد كان لتهميش هذه الجماعات أثر على كفاءة المؤسسات المعنية بهذه الفئات، فالقوانين الوضعية لا تخدم المرأة بقدر الرجل، ومدارس الفقراء رديئة الكفاءة، ومستشفيات المعاقين أشبه بالسجون. يمكن الاستنتاج من هذه المرحلة من تاريخ الدول الديموقراطية أنه لم يكن هناك تصور لمسؤولية الدولة في احتواء الجماعات التي بحاجة لرعاية خاصة، بل أنها ترفض أن يكونوا عضوا فاعلا فيها، وفقدان هذا التصور هو السبب في ظاهرة التهميش في هذه الدول.

على الرغم من أن المجتمعات الديموقراطية الحديثة قد تجاوزت التمييز بين الجماعات في حق المواطنة وبالأخص من يحتاجون لرعاية فإن هذا لم يقض على ظاهرة التهميش في هذه الدول، إذ ما زالت ممارسات مؤسسات هذه الدول تعمل على تهميش الفئات المحتاجة للرعاية مثل كبار السن والفقراء من خلال عدم إشراكهم في تقرير احتياجاتهم واتخاذ القرار بشأنها. إن معظم القرارات الخاصة في هذه المؤسسات تتم من قبل موظفين يعكسون تصوراتهم الخاصة ومصالحهم الضيقة على قوانين هذه المؤسسات وعلى المحتاجين الامتثال لها.

لقد كان للدراسات النسوية دور في تحليل ظاهرة التهميش في المجتمعات الديموقراطية من خلال انتقادها للمبدأ الأول الذي بنيت عليه ظاهرة التهميش والتي يتمثل بربط المواطنة والمسؤولية الأخلاقية بالاستقلالية وعدم الاحتياج للآخر. وفي اعتقاد النسويات أن هذا المبدأ هو مبدأ مستوحى من التجارب الذكورية التي تقدر المنافسة والإنجاز الفردي. وبناء عليه يكون نموذج العدالة المجتمعية وفق هذا المنظور يتمثل بإتاحة الفرص للأفراد ليكونوا مستقلين. لذلك تطالب هذه الدراسات النسوية بتبني منظورٍ آخر جديدٍ للعدالة؛ يعطي للمحتاجين قدرا من الاحترام والمشاركة يتساوى مع نظرائهم المستقلين (Young, 1990, p. 55).

3. الاستضعاف:

تستمر يونغ في استعانتها بالتحليل الماركسي لفكرة الاستغلال الطبقي الذي ينبني على انتقال السلطة والثروة من الطبقة الكادحة إلى الطبقة الرأسمالية . وفي رأيها أن هذا التقسيم الطبقي لم يبق على حاله كما كان منذ القرن التاسع عشر، إذ ظهر فيما بعد تقسيم اجتماعي جديد يتمثل بالعمال المهنيين والغير مهنيين. فبالرغم من أن فئة " المهنيين" لا تعد جزءًا من الطبقة الرأسمالية فإن ساهمت بشكل مباشر في استغلال الرأسماليين للطبقة الكادحة من خلال تضخيم ثروة الرأسماليين أو بشكل غير مباشر في توفير الشروط اللازمة لهذا الاستغلال. وفي كلتا الحالتين يساهم المهني في "استضعاف" الغير مهني.

تبدأ فكرة الاستضعاف من الطابع العام لمعظم قطاعات العمل في المجتمعات الرأسمالية والتي لا تدار على أساس ديموقراطي، بحيث تكون مرتبطة بطريقة مباشرة بسياسة الدولة. وبناء على ذلك تتم السياسة التنفيذية للعمل بطريقة هرمية، إذ إن هذا الأسلوب لا يتيح الفرصة للأفراد في أسفل الهرم للإسهام في قرارات تؤثر على ظروفهم الحياتية والعملية. في الهرم الوظيفي توجد فئة "المهنيين" الذين يقومون بتنفيذ قرارات من هم في أعلى الهرم الوظيفي على من هم في أسفله، وهذه العملية تساهم في تشكيل سلطة لدى المهني؛ تأتي من قدرته على فرض القرارات على غير المهني المستضعف، الذي ليس أمامه سوى الإذعان وتنفيذ هذه القرارات. بالإضافة إلى ذلك، توجد عوامل أخرى تعمل على إضعاف طبقة العاملين تتعلق بسياسات هذه المؤسسات المهنية التي لا تهتم بتطوير مهارات هؤلاء المهنيين والممارسة الحرة الخلاقة لديهم. هذه الظروف تساهم في إضعاف المهني كما تساهم على فقدانه للاحترام الاجتماعي (Young,1990, p. 56).

تعتقد يونغ (1990) بأن الاحترام الاجتماعي قد أصبح ميزة مصاحبة للعمل المهني تمتد لخارج أسوار العمل إذ إن "معايير الاحترام في مجتمعنا قد أصبحت مرتبطة بالثقافة المهنية " (ص.57). ففي الحياة العامة يحظى المهنيون باحترام جميع مؤسسات الدولة من بنوك ومتاجر وأماكن الترفيه. أيضا ينعكس هذا الاحترام على جميع جوانب حياتهم من ملبس وحديث وذوق لتصبح هذه الجوانب معايير يتطلع غير المهني لتحقيقها. بناء على ما قيل يمكن وصف " الاستضعاف" سلبا على أنه حالة فقدان للاستقلالية ولاتخاذ القرار وللمكانة الاجتماعية وللاحترام الذاتي.

4. الإمبريالية الثقافية[2]:

تكشف يونغ في تحليلها عن شكل آخر من أشكال الاضطهاد الاجتماعي يتمثل بالإمبريالية الثقافية والذي يتمثل في أن تقوم جماعة بفرض ثقافتها الخاصة – من خبرات وقيم وأهداف – على باقي الجماعات الأخرى، كما تضفي صفة الكونية عليها وتجعلها معيارا لكي تحتذي بها باقي الجماعات الأخرى في المجتمع. تقوم هذه الفئة المهيمنة بالسيطرة على وسائل التفسير والنشر والإعلام لتحويل ثقافتها الخاصة إلى ثقافة سائدة عامة (ص. 59).

وتقوم الفئة المهيمنة على إخضاع الجماعات الأخرى لمعاييرها الخاصة من خلال وصف وتفسير قيم الجماعات الأخرى على أنها تمثل "الآخر" الذي يتسم بالانحراف والدونية والنقصان. وتظهر الإمبريالية الثقافية في صياغتها لاختلاف المرأة عن الرجل، حيث يتم تصوير المرأة بالتبعية والدونية والنقصان. كذلك ينطبق هذا على تصور ثقافة الرجل الأبيض للأسود، وتصور المجتمع المتباين الجنس للمثلية، وتصور المجتمع المهني لغير المهنيين (Young, 1990, p. 59).

حتى تضمن الإمبريالية عدم انتفاضة الآخر على هذا التقييم الجائر وضمان استسلامه وعدم إنكاره لها فهي عادة تلجأ إلى ربط قيمها الدونية بجوهر ما لا يتغير؛ مثل ربط الآخر بطبيعة جسدية معينة. ويتم اللجوء للتنميط كوسيلة لتحقيق هذا الهدف. ومع مضي الوقت يترسخ هذا التنميط المجتمعي كحقيقة مشابهة للحقائق العلمية، لا يستطيع الأفراد تمييز زيفها. ومن أمثال

التنميط أن "السود عنيفين" أو أن "طبيعة المرأة تتناسب مع تربية الأطفال وتدبير المنزل". الرجل الأبيض عادة ما ينجو من التنميط الاجتماعي ليكون فردا لا تشوبه شائبة (Young, 1990, p. 59).

عندما ترسم الفئة المهيمنة صورة لشخصية "الآخر" وتقوم بفرضها على الفئة المضطهدة لتترجم هذه الصورة إلى سلوك متوقع؛ يخلق هذا لدى الكثيرين من أفراد الفئة المضطهدة نوعاً من "الوعي المزدوج" (Du Bois, 1969). الوعي الأول يتمثل عندما يرى نفسه كإنسان له حق أصيل في الحياة والعيش بكرامة وبقدرات وإمكانات ممكن أن تتحقق اذا أتيحت لها فرصة التطوير. أما الوعي الآخر فيتمثل في الشعور بالدونية والرثاء والاحتقار. ويعمق هذا الوعي المزدوج الخبرات اليومية التي يعيشها المهمشون من خلال قيامهم بأعمال مهنية وضيعة، ورواتب ضعيفة وحياة معيشية متواضعة مقارنة بالفئة المهيمنة (Young, 1990, p. 60). يتمثل انعدام العدالة الاجتماعية في هذا النوع من الاضطهاد بأن الفئة المهيمنة لا تكون لها القدرة فقط على فرض ثقافتها الخاصة على المجتمع، بل إنها تعمل أيضا على طمس وتشويه القيم الخاصة بالجماعات الأخرى.

5. العنف:

تستعرض (1990) يونغ شكلا آخر من أشكال الاضطهاد الاجتماعي الذي يتمثل بالعنف الجسدي والنفسي واللفظي المنظم. يتصف هذا النوع من العنف بأنه يستهدف الفرد أو ممتلكاته لا لأسباب شخصية تربطه بمن يمارس عليه العنف، ولكن بسبب كونه ينتمي لفئة مجتمعية معينة. ويهدف هذا العنف المنظم إلى الإهانة والحط من قدر وتدمير هذا الضحية. غالبا تقيم مثل هذه الحالات على أنها مجرد ظواهر فردية غير عادلة يقوم بها أشخاص يميلون للعنف، ولكن من يتعمق في دوافع هذا النوع من العنف يجد أنها لا تعتبر ظواهر فردية وإنما تمثل ظواهر عنف جماعية، لأنها موجهة نحو فئة معينة من فئات المجتمع وهنا يكمن الاضطهاد متمثلا بالعنف. عادة تكون الجماعات الضعيفة والمهمشة هي الأكثر عرضة لمثل هذا النوع من الاضطهاد ففي المجتمع الأمريكي غالبا من يكون معرضا للعنف هم جماعة السود والنساء والأقليات المهاجرة كالعرب واللاتينيين (ص. 59).

هذا النوع من العنف منظم لأنه يستهدف جماعة؛ في الغالب تكون هذه الجماعة مهمشة أو مستضعفة اجتماعيا. كما يعتبر العنف أيضا منظما بسبب شعور هذه الجماعات بأنها معرضة للعنف بناء على التنميط الاجتماعي الذي يفرضه المجتمع عليهم. فالمرأة تعرف أنها معرضة للعنف الجسدي واللفظي سواء من الزوج أو الأقارب إذا تخطت بعض الحدود المجتمعية، في حين لا يشعر الرجل بهذا الإحساس. أيضا يعرف الشخص الأسود بأنه قد يتعرض في موقف من المواقف للإهانة والتهميش والعنف الجسدي لمجرد أنه ينتمي لجماعة السود (ص.62). وتعتقد يونغ بأن اضطهاد العنف مؤسسي؛ ذلك لأنه يتم في كثير من الأحيان بواسطة مؤسسات تدعم مثل هذا النوع من الاضطهاد، مثل: المؤسسات الدينية أو السلطات الحكومية. وبسبب هذه المعرفة والتعود قد نجد أنها تصبح طبيعية فتحظى بالقبول المجتمعي. وبناء عليه تأتي عادة الأحكام القضائية لمثل هذا النوع من العنف إما بالتخفيف أو البراءة لمرتكبيها.

تعددت تفسيرات المحللين لأسباب اضطهاد العنف. فهناك من يعتقد بأنها تهدف إلى الابقاء على السيطرة واستغلال الفئة المضطهدة وهذا لا يأتي إلا من خلال التخويف والسحق والترويع. بينما يعتقد آخرون بأن المقت أو الخوف من "الآخر" هو الذي يدفع لمثل هذا العنف الاجتماعي. قد يكون سبب هذا المقت والخوف انعدام الثقة بالنفس، أو الخوف من فقدان الهوية بوجود هذا الآخر، أو أن يكون سبب هذا العنف هو الحاجة إلى إيجاد ضحية، وخصوصا إذا كانت الفئة المضطهدة معرضة لأن تصبح ضحية مثل المرأة التي تمتلك ضعفًا جسديًا طبيعيًا مقارنة بالرجل.

تتضافر أشكال الاضطهاد الاجتماعي لتدعم بعضها البعض من أجل اختزال حقوق جماعات لصالح جماعات مستفيدة. على سبيل المثال يعمل الاستغلال على فرز المجتمع إلى جماعة مستغِلة ومستغَلة مما يعمل أيضا على تمهيد بيئة مشجعة للتهميش والاستضعاف والعنف. كما نجد أن الإمبريالية الثقافية تعمل على تبرير هذه الممارسات من خلال إضفاء نوع من الحتمية على تلك الممارسات من خلال ربطها بالاختلافات الجوهرية الجسدية، أو إضفاء طابع القداسة على قيم التفوق من خلال التفسيرات الذكورية للمقدس.

تعتقد يونغ (1990) بأن أشكال الاضطهاد الخمسة التي تم ذكرها تمثل معايير للتعرف على جوانب الاضطهاد لدى الأفراد المنتمين للجماعات. ويتم التعرف على هذه المعايير من خلال ملاحظة السلوك، والمكانة الاجتماعية، والعلاقة مع الآخر، والسياق الثقافي الذي ينتمي لها المضطهدون. إن الكشف عن أحد هذه الأشكال الاضطهادية يكون كافيا لتحديد وجود الحالة الاضطهادية. وتعتقد يونغ أن هذه الأشكال ليست محصورة في جماعة محددة، فقد تتداخل الجماعات في اشتراكها في هذه الأشكال، بالإضافة إلى أن كل جماعة مضطهدة قد تعاني من مجموعة محددة من هذه الأشكال (ص. 46). وعلى الرغم من اختلاف الجماعات في أشكال الاضطهاد التي يعانون منهم فإن ما يجمع هذه الجماعات هو أنهم جميعا "يعانون من بعض الكوابح لقدراتهم في تطوير وممارسة إمكاناتهم والتعبير عن احتياجاتهم، أفكارهم، وأحاسيسهم" (ص. 40). هذا ما يتسبب في حالة انعدام العدالة مقارنة بالجماعات التي لا تختبر مثل هذه الكوابح.

بالرغم من شرح يونغ لمفهوم الاضطهاد وأشكاله المرتبطة بالمجتمعات الديموقراطية الحديثة، فإنه ليس واضحًا لنا إلى هذه اللحظة الكيفية التي تعمل عليها هذه الأشكال على المستوى العملي كما ادعت يونغ. بالإضافة إلى ذلك، يبدو لنا أن أشكال الاضطهاد المذكورة هي امتداد لعلاقات اضطهادية سابقة ولكنها قد لبست حلة جديدة تتمثل بالنظام الديموقراطي والمؤسسات الحكومية، بالرغم من مناهضة دساتير نظم الدول الحديثة لهذه العلاقات فإنه ليس واضحا لنا أسباب استمراريته هذه العلاقات الاضطهادية وقدرتها على إعادة إنتاج نفسها عبر التاريخ في المجتمعات الحديثة.

هذا ما سوف نتناوله في تحقيقنا في هذه الورقة البحثية، اذ يمكننا أن نصنف الإجابات على هذه الأسئلة في تصنيفين أساسيين؛ الأول يتمثل في بحث الأطر البنيوية للاضطهاد من خلال تسليط الضوء على العلاقات الاضطهادية التي تتضمن هذه البنى الاضطهادية وكيفية انتقالها عبر الأجيال، والثاني في تسليط الضوء على جوانب خبرات الوعي العملي، أو الوعي المتجسد

كما سوف نطلق عليه لاحقا، والذي سنكشف فيه عن خبرات الوعي الأولى للإنسان من خلال استخدامنا للمنهجية الفينومينولوجية الوجودية.

ثانيا: الأطر البنيوية ودورها في تشكيل الجماعات المضطهدة:

أ.في تحديد مفهوم الاضطهاد:

تتفق يونغ مع مارلين فري (-1941) في تعريف الاضطهاد العملي على أنه يتشكل من بُنى سلطوية مترسبة في اللاوعي المجتمعي، يمارسها الأفراد في حياتهم اليومية بحسن نية ودون دراية. تقول يونغ (1990) في هذا الشأن:

> الاضطهاد بهذا المعنى يكون بنيوياً أكثر من كونه نتاج خَيارات بعض الأفراد أو السياسات. وترجع أسبابه إلى تأصل في المعايير التي لم تناقش، وفي العادات، وفي الرموز، في الافتراضات الكامنة خلف قوانين المؤسسات والنتائج المتراكمة من اتباع هذه القوانين. (ص. 41)

ويمارس الاضطهاد البنيوي من خلال المؤسسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ويعيد إنتاج نفسه في هذه المؤسسات. أيضا، يمارس الاضطهاد البنيوي من خلال سلوك الأفراد في هذه المؤسسات الذين ليس لديهم أدنى علم بأنهم أدوات لهذه الممارسات الاضطهادية.

وتعرف يونغ (2005) البنى الاجتماعية بأنها تمثل "التقاء القوانين المؤسسية مع الممارسات التفاعلية، وحركة الموارد، والبنى الفيزيائية، التي تشكل المعطيات التاريخية والتي وفقا لها يتصرف الأفراد، والتي تكون ثابتة نسبيا عبر الزمن، كما تتضمن هذه البنى أيضا تلك المعطيات الاجتماعية الواسعة التي تنتج عن التقاء ممارسات فردية كثيرة ضمن علاقات مؤسسية معطاه" (ص. 20). ويمكن وصف هذه البنى على أنها تمثل "علاقات قوى" نتجت من معطيات تاريخية استفاد منها طرف على حساب طرف آخر مما تسبب في انعدام العدالة والمعاناة للطرف الأخير.

وبناء على ذلك يصبح دور المؤسسات الاجتماعية ضمان بقاء هذه العلاقات الاضطهادية، اذ تفرض هذه المؤسسات قيودها النظامية التي تعمل على التحكم في حياة الأفراد وتصرفاتهم. وأمثلة على هذه المؤسسات الاجتماعية مؤسسات العمل والأسرة والدين والتي تمارس أشكال الاضطهاد من استغلال وتهميش واستضعاف لبعض الجماعات. فعلى سبيل المثال تقوم مؤسسات العمل على تحديد من يعمل لمن، من المستفيد من النظام ومن الأقل حظا. أيضا، تقوم المؤسسة الأسرية بنقل طاقة المرأة إلى الرجل من خلال رعايتها له ولأبنائه مما يتيح المجال للرجل أن يتفرغ لبناء حياته المهنية والاجتماعية خارج الأسرة، أما بالنسبة للمؤسسات الدينية فهي تضفي القداسة على الكثير من الفتاوى الدينية التي تكون ضد بعض الجماعات مثل النساء ومنتسبي الديانات أو المذاهب الأخرى.

وتتبني يونغ مستويين من البُنى الاجتماعية قدمها الكساندر وندت (1958-) في كتابها العلاقات الاجتماعية والدولية (2000) ؛ مستوى من البنى الكبرى ومستوى من البنى الصغرى. أما بالنسبة للبنى الكبرى فالمقصود بها الممارسات التي تقوم بها المؤسسات الاجتماعية المؤثرة والتي تمكن بعض فئات المجتمع بينما تفرض قيودا على فئات مجتمعية أخرى. وتعمل البُنى الاجتماعية الكبرى على وضع الأفراد في مواقع اجتماعية محددة تبعا لنوع العمل أو القوة أو الجنس أو المكانة الاجتماعية. وتحدد يونغ (2005) هذا التموضع بالنسبة للفرد ضمن السياق البنيوي الاجتماعي بالكيفيات التي يعامله بها الأفراد في سياق الأطر المؤسسية، بالإضافة إلى أشكال السلوك التي يقوم بها. أما بالنسبة للبنى الصغرى فهي تلك المتعلقة بأنماط الممارسات التفاعلية اليومية بين الأفراد، واتباعهم للقوانين بشكل مقصود وغير مقصود، والأدوات والمصادر المتاحة لهم في المجال التفاعلي.

وفي نظرنا لا يقتصر دور بُنى الاضطهاد على تشكيل المؤسسات الاجتماعية الداعمة للاضطهاد وإعادة انتاجها عبر التاريخ، بل لها أيضا دور أساسي في تشكيل واستمرارية تشكيل الجماعات المضطهدة من خلال المؤسسات الاجتماعية الداعمة للاضطهاد. فعن طريق المؤسسات والأنظمة المجتمعية يتم تشكيل الجماعات من خلال إخضاع مجموعة من الأفراد لظروف تاريخية ومؤسسية واجتماعية مماثلة مما ينتج عن ذلك خبرات متشابهة لهم، والتي بدورها تشكل النواة الأولى لنشأة الجماعة حسب تصور يونغ. وبهذا يكون الدور الأساسي للمؤسسات المجتمعية هو ضمان تشابه خبرات المعيش لدى مجموعة من الأفراد مما ينتج عنه الجماعة الواحدة التي يكون لها فهم خاص للحياة. وتعرف يونغ (1990) الجماعة على أنها " نوع من الجمعية، مع نتائج خاصة للكيفية التي يفهم الناس بعضهم البعض وأنفسهم" (ص. 43). إذ أن ما يحدد الجمعية هو نوع الثقافة وأسلوب الحياة الذي يربط أفراد الجماعة ببعضهم البعض والذي يميزهم عن باقي الجماعات الأخرى. وتعتمد الصفات الخاصة بالهوية الجمعية على شكل المعرفة الجمعية والمعطيات التاريخية التي تشكلت فيها هذه الهوية (الخلف،2022 أ، ص. 265).

وتعتقد يونغ أن ما يعزز استمرارية ممارسات الاضطهاد وانتقالها من جيل إلى آخر هو أن الهوية الجمعية تسبق وجود الهوية الفردية، فالثقافة الجمعية وما تتضمنها من فهم خاص للحياة وللآخر يتم انتقاله لأفراد الأجيال الحديثة من خلال الهوية الجمعية. وفي أسبقية الذات الجمعية على الفردية، تقول يونغ (1990) بأنه "على الرغم من أنّ الجماعات لا توجد بمعزل عن الأفراد، فإنّها سابقة اجتماعياً للأفراد، وذلك لأنّ هويات الأفراد تتشكل جزئياً بواسطة تآلف جماعتهم" (ص. 9)، إذ إنّ أنماط شخصيات الأفراد، وسلوكهم، وأذواقهم، وعواطفهم، وتطلعاتهم للحياة تكون محددة مسبقا بواسطة المعرفة الجمعية التي ينتمون لها . وبهذه الأسبقية للهوية الجمعية يتم ضمان انتقال ثقافة الجماعات المضطهدة عبر الأجيال، اذ إن الأجيال الجديدة ترث الأدوار الاجتماعية التي تم تحديدها من قبل بنى الاضطهاد.

وتعكس الصفات الخاصة بالجماعة المضطَّهَدة الجانب السلطوي الذي يمارسه الطرف الآخر الأقوى والمستفيد من علاقة الاضطهاد. وعادة ما تقوم الجماعة المستفيدة من هذه العلاقة بإضفاء أنماط ثقافية دونية على الجماعات المضطهدة، والتي يتم تبنيها من قبل الجماعة المضطهدة نفسها. وتساهم المؤسسات في تأصيل هذا التنميط. فعلى سبيل المثال، يقوم الإعلام وصناعة

الأفلام في الولايات المتحدة على إضفاء صور نمطية على الجماعات المضطهدة فعلى سبيل المثال ينظر إلى السود على أنهم مجرمون أو يمارسون وظائف وضيعة، كما يُنظَر إلى العرب على أنهم إرهابيون.

ليس لبنى الاضطهاد دور في تشكيل الجماعات وحسب، بل أيضا لها دور في تشكيل الطبقات، اذ تعتقد يونغ بأن الطبقة هي جماعة بناء على العلاقات الأصيلة من التقارب في الهوية بين الأعضاء، والاختلاف مع الآخر. ولكن في نظرها يكون مفهوم الطبقة أضيق من مفهوم الجماعة، وذلك لأن نوع العلاقة البنيوية التي تربط أطراف الطبقات هي علاقة تعتمد على الحالة المادية ونوع العمل، اذ تتعلق بمن يمتلك ومن لا يمتلك وسائل الإنتاج، بمن يحصل على الثروة ومن يستبعد منها، بمن يمتلك النفوذ ومن لا يمتلك، في حين أن مفهوم الجماعة يرتبط بعلاقات بنوية خارج هذا الإطار، مثلما أوضحنا آنفا مثال علاقة الرجل بالمرأة في النطاق الأسري (الخلف، 2022 أ، ص. 267).

إلى هذا الحد من ورقتنا البحثية قمنا بالكشف عن الجوانب البنيوية التي شكلت ظاهرة الاضطهاد في المجتمعات الحديثة، اذ تم التركيز على فهم دور هذه البنى المتمثلة بالمؤسسات الاجتماعية في ضبط العلاقة الاضطهادية بين الجماعات وانتقالها عبر الأجيال، وذلك من خلال دورها الداعم في تشكيل الهوية الجمعية الخاصة بالجماعات المضطهدة والجماعات المستفيدة من هذا الاضطهاد. وربما كان هذا ما يفسر استمرارية الممارسات الاضطهادية في المجتمعات الحديثة من خلال الثقافة المتوارثة عبر الهوية الجمعية، وأيضا عبر النظم والمؤسسات الاجتماعية الداعمة لهذه الثقافة مثل النظام الاقتصادي، والنظام السياسي وما يتبعه من مؤسسات حكومية، ومؤسسات أسرية ودينية. وفي نظرنا أن المنهجية البنيوية قد ساهمت في تفسير الفجوة التي أشارت إليها يونغ بين القيم والنظم التي تتبناها المجتمعات الحديثة والممارسات الفعلية القائمة والتي أرجعتها إلى نوع من الوعي العملي.

سوف يتم – فيما يلي التوسع – في مفهوم يونغ للاضطهاد العملي والبنيوي من خلال التركيز على الكيفية التي يعيش فيها الأفراد بنى الاضطهاد، ولتحقيق هذا الهدف سوف يتم توجيه بحثنا إلى تقصى ما يلي: أولا، ربط الوعي العملي الذي أشارت إليه يونغ بالوعي المتجسد. ثانيا، الكشف عن الكيفية التي تتشكل فيها المعاني الأولى للإنسان والتي تتضمنها معاني الاضطهاد، وثالثا، الكشف عن الكيفية التي تتشكل فيها الهوية الجمعية للأفراد وانتقالها عبر الأجيال. ولإنجاز تلك الأهداف سوف تتم الاستعانة بالفينومينولوجيا الوجودية الخاصة بالفلسفة المتأخرة لإدموند هوسرل، وفلسفة مارتن هيدغر، وفلسفة موريس ميرلوبونتي.

ثالثا. الاضطهاد المتجسد: من منظور الفينومينولوجيا الوجودية:

يهدف هذا الجزء من الورقة إلى إكمال ما انتهت إليه الورقة البحثية، وهو إيضاح الكيفية التي يمكن للأفراد أن يعيشوا علاقاتهم وأدوارهم الاجتماعية الاضطهادية في بنى الاضطهاد. وفي نظرنا ليس هناك أنسب من المنهج الفينومينولوجي الوجودي للكشف عن هذه الخبرات، ومن الفلاسفة الذين ارتبطوا بهذا المنهج هم هوسرل في فلسفته المتأخرة[3]، وهيدغر، وميرلوبونتي. وفي نظرنا ما يجمعهم في هذا التوجه هو تأكيدهم أهمية الخبرة اليومية للإنسان في العالم، اذ في نظرهم أن في هذه الخبرة تتم صناعة المعاني الإنسانية الأولى لدى الأفراد وانتقالها عبر الأجيال، كما أن هذه الخبرة هي نتاج تفاعل الذات كجسد في العالم. وهم

بذلك يتعارضون مع الفكر الموضوعي الذي يتمثل بمجمل الإرث المعرفي العلمي الذي يتضمن التوجهات التجريبية، وأيضا الإرث المعرفي الديكارتي والتيارات المثالية التي تتبعه.

أ. هوسرل وعالم –الحياة:

ينتقد هوسرل، في كتابه (أزمة العلوم الأوروبية والفلسفة المتعالية)، التوجهات العلمية والفلسفية في سعيها الدؤوب، منذ بدايات الفلسفة وتشكيل العلوم، وبأنشطتها التنظيرية وأدواتها العقلانية في محاولة فهم أنفسنا وخبراتنا الخاصة وواقعيتها في هذا العالم الذي نعيش فيه، إلا أن هذه المساعي التنظيرية قد زادتنا اغترابا عن أنفسنا وعن العالم. فكل ما نختبره بشكل مباشر من أحاسيس وخبرات عن العالم أصبحت مجرد ظواهر لا تمت للواقع بصلة وفي المقابل أتت هذه التنظيرات بنتائج عن طبيعة وواقعية خبراتنا في العالم بشكل لا يمت لخبراتنا المعيش الاعتيادية بأية صلة (الخلف،2022 ب، ص.149). كما أصبح العلماء والفلاسفة كالقساوسة الذين يحددون ويفسرون طبيعة أنفسنا والأشياء، إذ إن التجريدات التي توصلوا لها أصبحت هي الواقع، أما الخبرات الحياتية الواقعية للإنسان فتم استبعادها. ولكن المفارقة في مواقف هؤلاء العلماء والفلاسفة أنهم قد نسوا أن أنشطتهم العلمية والثقافية قد انطلقت من الواقع المعيش الذي يستبعدونه عن تنظيرهم، فهم يعيشون في نفس العالم الذي نعيش فيه، كما يؤمنون بواقعية هذا العالم كمعطى مسبق وأساسي (Carr, 1989, p. 294).

يرجع هوسرل أصل المعرفة الإنسانية بما فيها المعرفة الموضوعية إلى ما أسماه بممارسات "عالم–الحياة"[4]. ويعرف هوسرل (1970) عالم الحياة على أنه "العالم المحيط الحدسي" (ص. 121). وهو "يتضمن" جميع أهدافنا، جميع غاياتنا، سواء العابرة أو الباقية، بطريقة تتدفق باستمرار، شبيه بمجال–واعي قصدي "يتضمن بشكل ضمني كل شي مسبق" (ص. 144). ما يقصده هوسرل بعالم–الحياة هو المجال المعطى من الموضوعات المدركة، والأهداف العملية التي تشملها خبراتنا الخاصة، وهو المجال الذي ننطلق منه في سعينا في العالم، وهو نفس المجال الذي ينتمي إليه العالِم في بحثه النظري، فعالم الحياة ليس عبارة عن معطيات حسية غير منظمة ليس لها معنى، بل هو يتشكل من بُنى من الأهداف العملية التي توجه حياتنا. وتمثل هذه الأهداف الإرث التقليدي الثقافي الذي ترسب في الماضي ومازال يمارس تأثيره على الحاضر من خلال دعمه للممارسات العملية التي يقوم بها الناس (Heelan, 1989, p. 409).

ويكشف هوسرل عن ثلاثة خصائص تتعلق بعالم–الحياة وأولها هي أنه دائما "معطى مسبق"[5] لأصحاب الخبرة الإدراكية. هو المجال الإدراكي الذي تبرز من خلاله الأشياء في العالم والتي لولاه لما برزت لنا، كما نؤمن بواقعية هذه الأشياء بشكل مفرغ منه ودون أدنى شك. هذا ينطبق على خبرات العالم والفيلسوف. أما الخاصية الثانية لعالم–الحياة فتتمثل "بالعمومية"، ويقصد هوسرل (1970) بذلك هو " العالم المشترك لنا جميعا" (ص. 121) وبناء على هذه العمومية، يكون عالم–الحياة مدخلاً للبين–ذاتية والتفاعلية بين الذوات في العالم. أما الخاصية الثالثة التي تميز عالم– الحياة فهي أنه عالَم إنساني وثقافي، إذ عند إدراكنا للموضوعات

وللأشياء في العالم، فإننا لا ندركها فقط كصور بحالتها الزمانية والمكانية، وإنما ندركها بمعانيها الثقافية مثل المنازل والشوارع، كأدوات للاستخدام الآدمي، كما يتضمن عالم-الحياة منتجات إنسانية مثل الفن والأدب والعلم والفلسفة.

وفي تفاعل الجسد مع عالم -الحياة، يعتقد هوسرل بوجود علاقة بنيوية تربط الجسد بعالم الحياة، إذ يتفاعل الجسد مع عالم-الحياة كغايات محفزة لأنشطة الجسد وقصدياته الحركية مثل الدفع، والجذب، والتركيز، والالتفات نحو، والابتعاد عن، وغيرها من الحركات التفاعلية مع العالم. لا يقصد هوسرل (1970) بالجسد هنا هو الجسد المادي، وإنما يقصد به "الذات المتجسدة" (ص. 294) وهي نوع من الذاتية الصامتة والمجهولة الهوية.

لم يكمل هوسرل تحليله لمفهومي "عالم-الحياة" و"الذات المتجسدة" وذلك بسبب وفاته[6]. وعلى الرغم من محدودية ما وصلنا إليه بشأن هذين المفهومين فإننا نجدهما واعدين بتحقيق هدفنا المعني في هذا البحث؛ وهو الكشف عن خبرات المعيش الاضطهادية في ظل بنى الاضطهاد التي مازالت تمارس تأثيرها على المجتمعات الحديثة بطريقة خفية، إذ نجد في خواص عالم-الحياة، كعالم ثقافي وعمومي ومعطى بشكل مسبق، إمكانية تفسير انتقال واستمرارية بنى الاضطهاد عبر التاريخ، كما أجد في "الذات المتجسدة" النواة الأولى لتشكيل الهوية الجمعية الخاصة بالجماعات المضطهدة. ولحسن حظنا كباحثين أن فلسفة هوسرل المتأخرة قد كان لها صدى وتأثير على بعض الفلاسفة، ونخص منهما الفيلسوفين هيدغر وموريس ميرلوبونتي. لذلك سوف نتتبع في المرحلة القادمة من البحث مفهومي "عالم-الحياة" و"الذات المتجسدة" من خلال قراءتنا لكل من هيدغر وميرلوبونتي.

أ.هيدغر ونشأة الجماعات:

نهدف في هذا الجزء من البحث إلى مقاربة "الذات المتجسدة" لدى هسرل بمفهوم "الدازاين" لدى هيدغر. ففي تحليله الأنطولوجي للوجود، يعتقد هيدغر أنه بالرغم من اشتراك الإنسان مع كيانات أخرى من الجماد والحيوان في صفة الكينونة فإن الإنسان يتميز بكونه الكائن الوحيد الذي يحمل هَم كينونته في العالم ويحاول أن يفهمها. ويطلق (1962) هيدغر على الإنسان لقب "الدازاين" (ص. 32)، وهي كلمة ألمانية تتكون من مقطعين "دا" تعني "هناك"، و"زاين" وتعني "الكينونة". والمقصود بها طريقة الإنسان أو مسلكه في الحياة. هذه الطرق أو المسالك ممكن أن تكون خاصة بالأفراد أو طرق جمعية يشترك بها مجموعة من الناس. ويؤكد هيوبرت درايفس (1929-2017)، أحد شراح فلسفة هيدغر، على أن مفهوم الدازاين يشير إلى الكائن الإنساني في مرحلة من الفهم التي تسبق مرحلة العقلانية (1965، ص. 14). ففي نظر هيدغر، إن طرق تصرف الدازاين في العالم تعتبر بمثابة فهم متجسد للعالم، إذ لا يحتاج الذهن تمثيل هذه التصرفات قبل البدء فيها، فالجسد يعرف كيفية التصرف في المواقف التي يواجهها في واقعه المعيش (Dreyfus, 1965, p. 29). وهكذا يعارض هيدغر نموذج ديكارت المعرفي الذي يقوم على فهم النشاط الذهني للإنسان بطريقة تمثيلية. كما أنه يتفق مع هوسرل في أسبقية انخراط الذات المتجسدة في السياق الاجتماعي والتاريخي الذي ينتمي إليه قبل الوعي بفردانيتها.

ويقارب هيدغر الذات المتجسدة لدى هوسرل في نمط الكينونة الاجتماعي الخاص بالدازاين والذي يطلق عليه هيدغر "الهُم"، وهو يعبر عن ضمير غير محدَّد يصفه هيدغر (2012) بقوله: "إن الهُم صفة وجودانية، وهو ينتمي، من حيث هو ظاهرة أصيلة، إلى الهيئة الموجبة للدازاين" (ص. 257). ويكون نمط الكينونة "الهم" هو الأساس الذي يعتمد عليه الدازاين لفهم عالمه الاجتماعي، وتتسم عملية الفهم بممارسات سلوكية جمعية تنتمي للعموم. ما يعنيه هيدغر هنا بالفهم هو ليس فهما ديكارتيا لنسق من الأفكار وإنما هو فهما سلوكيا متجسدا للثقافة الجمعية السائدة.

ويقول هيدغر (2012) في أسبقية الهم على الذات الفردية: يقول هيدغر: "إن الهُم الذي يشكل الكينونة–مع بعضنا–البعض ينشئ ما نسميه *العموم* Publicبالمعنى الدقيق للكلمة. وهذا يعني ضمناً بأنّ العالم يُعطى بالأساس كعالم مشترك. إنه ليس هو هذه الحال: أن يكون هناك من ناحية – أولاً – ذوات مفردة يكون لها في أي وقت عالمها الخاص" (ص. 246)، إذ "لأول وهلة "أنا" لا "أكون" في معنى النفس الخاصة، بل أنا أكون الآخرين على طريقة الهُم" (ص. 246). فالذات تكون على نمط الهُم، ويكون ذلك من خلال تبنيها لنمط التصرف في المجتمع. ويساهم نمط الكينونة "الهُم" في تشكيل واستمرارية الجماعة من خلال ترسبه تاريخيا كنمط سلوكي معطى للتعامل مع العالم يتشارك فيه مجموعة من الأفراد، كما تساهم الأدوات في المحيط الاجتماعي على ترسيخ "الهم" لدى الأفراد.

ويعتقد هيدغر (2012) بأن الأدوات لها دور في تشكيل "الهم" أو الذات الجمعية من خلال خاصيتين هما "العمومية" و"المعيار"، اذ يكشف استخدام الأدوات مثل القلم أو الهاتف على أن استخدامها ليس مقصورا على مستخدمها، بل يشمل استخدام الآخرين لها أيضاً، فهي متاحة لاستخدام العموم من الناس. وبربط هيدغر العمومية بالأدوات يكون قد فسر لنا خاصية العمومية التي خصها هسرل "بعالم الحياة"، إذ إن العمومية التي يمكن إدراكها في الأشياء هي نتاج الأدوات التي نقوم باستخدامها. وأيضا، يكشف التعامل مع الأدوات عن وجود طرق محددة لاستخدام كلّ أداة، مثل أن تستخدم القلم للكتابة وليس للقص، وهذه الطرق تكون بمثابة معايير للتصرف والسلوك. ومن الجدير بالملاحظة هنا أن الجانب المعياري لدى الإنسان يتشكل في مستوى خبرته المعيشة في العالم ومن خلال الأدوات التي هي معطى مسبق كما ادعى هوسرل في وصفه لعالم الحياة.

من تحليل هيدغر للأدوات التي تساهم في تشكيل "الهم" والتي تمثل الصفات الجمعية لدى الدازاين، يمكننا أن نستنتج بأن للأدوات دورا أساسيا في تشكيل الجماعات، وهذا يتم على مستوى الخبرات والممارسات اليومية للأفراد. وفي مقاربتنا لفهم استمرارية العلاقات الاضطهادية بين الجماعات عبر التاريخ، يمكننا تفسيرها وإرجاعها إلى الأدوات الاجتماعية التي تقدمها الأنظمة الاضطهادية بمؤسساتها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والدينية، والتي تعمل بدورها على استمرارية الجماعات المضطهَدة في إنتاج نفسها، وأيضا، ومن خلال هذه الأدوات، تعمل على فرض القيم المجتمعية الخاصة بالجماعات المضطهِدة.

ب. ميرلوبونتي والوعي المتجسد:

يتفق ميرلوبونتي مع هوسرل وهيدغر على وجود مستوى من الوعي خاص بالجسد يطلق عليه الوعي المتجسد. ويتميز الوعي المتجسد عن الوعي الديكارتي بأنه وعيا سلوكيا وليس وعيا لذات تتأمل موضوعاتها وتفكر فيها. ويعبر الجسد عن وعيه بالعالم المعيش من خلال قدرته على التعامل مع البيئة التي يعيش فيها بنجاح. ويقصد ميرلوبونتي بالعالم المعيش هو العالم كمواقف خاصة بالجسد الواعي وليس العالم كما تصفه وجهة نظر موضوعية. ويعتمد الإنسان على المعرفة الجسدية في خبراته اليومية وممارسات الاجتماعية والثقافية.

ويستشهد ميرلوبونتي ببعض الأمثلة التي توضح هذا المستوى من الوعي كقدرة المرأة على المحافظة على الريشة الموجودة في قبعتها من ملامسة الأشياء الموجودة في محيطها. ولتحقيق هذا الهدف، هي لا تقوم في كل لحظة بتمثيل المسافة المناسبة التي يجب أن تبقيها بينها وبين الأشياء الموجودة في العالم، فجسدها يعرف طريقه بين الأشياء في العالم دون الحاجة إلى وعي يدقق أو يحسب المسافة التي يجب أن يبقيها لتجنب الاصطدام بإحدى القطع الموجودة.

فالجسد يعرف "كيف" يقوم بحركات قصدية في العالم، وهذه الحركات تحمل معاني واضحة للجسد لا للذهن، لذلك لا يعبر عنها بمعتقد وإنما بمهارة حركية. ويقول ميرلوبونتي (1962) في هذا الشأن "إن جسدنا ليس موضوعا لـ "أنا أفكر": إنه مركب من المعاني المعيشة التي تجد اتزانها" (ص. 153). فهي ليست إلا معاني متجسدة بشكل مباشر في العالم ودون أية وساطة تمثلها. فكل ما نقوم به من أعمال روتينية ويومية ودون تفكير تنتمي إلى مجال القصديات الحركية، وتعتبر المهارات السلوكية هي إحدى نماذج القصديات الحركية. فعلى سبيل المثال الشخص الذي يعرف الطباعة على الآلة الكاتبة لا يحدد ذهنيا موقع الأحرف الخاصة بالكلمات المراد كتابتها على لوحة المفاتيح خلال عملية الطباعة. فالشخص لا يمتلك الاعتقادات الخاصة بمواقع أحرف الكلمات، ولكن مع ذلك يستطيع هذا الشخص طباعة الكلمات المطلوبة بنجاح.

وفي علاقة الجسد بعالم –الحياة وعلى مستوى خبرات المعيش، يعتقد ميرلوبونتي بأن الجسد لا يدرك الأشياء والآخر في العالم كما تصفها المعرفة الموضوعية من حجم وشكل ولون، وإنما يدركها على أنها تتضمن معاني خاصة تستجدي مهارات جسدية خاصة. يقول ميرلوبونتي (1962) في هذا الشأن: "وراء الإدراك، نكتشف وظيفة أساسية تجعل الأشياء توجد بطريقة أكثر قربا لنا" (ص. 135–136). ويستشهد ميرلوبونتي ببعض الأمثلة لإيضاح فكرته، فعلى سبيل المثال في تجربة الإدراك الخاصة بالخياط شنايدر (ص. 122) الذي لا يستطيع إدراك الأشياء في العالم بصفاتها الموضوعية ولكن كأقطاب جاذبة لسلوكه اليومي؛ فهو يدرك المقص على أنه " الذي يقص" كما يدرك القماش على أنه " الذي يتطلب خياطته" وهو معنى إدراكي خاص بشنايدر حددته القدرات والمهارات المترسبة في جسده، والتي اكتسبها خلال خبراته السابقة في الحياة. وبناء على ذلك توجد علاقة وثيقة تربط الإدراك بالحركات القصدية، اذ كلاهما يشكلان بنية واحدة سلوكية هدفها التفاعل مع العالم، إذ إن وظيفة الإدراك هي إمداد السلوك بإمكانات للتصرف.

ويلفت ميرلوبونتي النظر إلى الأدوار المهمة التي تقوم بها العاطفة في خبرة الإنسان الاجتماعية، إذ يعتقد بأن العاطفة كجانب من جوانب إدراك الإنسان للعالم تعمل على تأسيس علاقة وجودية بينه وبين الموضوعات في العالم. فالعاطفة ليست إلا طريقة للتفاعل مع العالم، أي طريقة معينة للإدراك وللسلوك في العالم المعيش. ويصف ميرلوبونتي (1962) خبرة الحب فيقول " إن الحب بالنسبة للذي يختبره ليس له اسم؛ إنه ليس بالشيء الذي يمكن حصره وتحديده، كما أنه ليس بالحب الذي تتحدث عنه الكتب والصحف، لأنه الطريقة التي أسس بها علاقته مع العالم؛ هو معنى وجودي" (ص. 444). يعتقد ميرلوبونتي بأن الشعور العاطفي يعتبر بعدا من أبعاد الإدراك وغير معزول عن محتواه.

وترجع أهمية العاطفة في أنها تؤسس للقيم في الخبرة الإنسانية، إذ أنها تضفي قيمة على الموضوعات في العالم فيكون لها الأثر في طريقة إدراك الإنسان لهذه الموضوعات. فالأشخاص الذين نُكن لهم المحبة ندركهم كأشخاص محبوبين مشعين بالدفء والجمال، كما تصبح الأشياء التي لهم علاقة بها مهمة وذات معنى خاص لدينا. وهكذا تكون العاطفة مغروسة في إدراكنا للعالم وغير منفصلة عنه. ولا يقتصر دور العاطفة على إضفاء القيمة على خبراتنا الإدراكية، بل أيضا يمتد دورها في تحديد نوع الاستجابة الاجتماعية المطلوبة منا، حيث إن إدراكنا للأشخاص المفضلين يتطلب منا سلوكًا معينًا مثل الابتسامة حين رؤيتهم أو الإقبال نحوهم سريعا أو الاعتناء بمقتنياتهم في غيابهم. إن شعورنا تجاه الأشياء والآخرين وقيمتهم بالنسبة لنا هي التي تحدد لنا نوع الاستجابة.

ويبدو هنا أن الجانب القيمي لا يرتبط فقط في استخدامنا للأدوات كما يدعي هيدغر، وإنما أيضا يرتبط بالموضوعات المدركة، ومن خلال العاطفة المصاحبة للإدراك وعلى مستوى السلوك حسب تصور ميرلوبونتي. ومن هذا المنطلق يمكننا تفسير الصور النمطية التي تشكل تجاه بعض الجماعات. فعلى سبيل المثال ينظر للمرأة على أنها ليست بذات كفاءة، كما ينظر إلى السود على أنهم عنيفون، أو إلى المهاجرين على أنهم وضيعون ومخيفون، أو إلى ذوي الاحتياجات الخاصة وكبار السن على أنهم ليسوا بذوي أهمية (Young,1990, p.133). ما يجمع هذه النماذج من التنميط هو الجانب القيمي السلبي اللصيق بإدراك هذه الجماعات والتي تتجسد من خلال سلوكيات النفور والكراهية المصاحبة لحضور أفراد ينتمون لهذه الجماعات. هذه النماذج قد تشكلت وترسبت في التاريخ، وتم تناقلها عبر الأجيال من خلال الهوية الجمعية الخاصة بالجماعات. وهذا ما يفسر استمرارية وجود بعض هذه الأشكال النمطية إلى وقتنا الحاضر في المجتمعات الحديثة بالرغم من مناهضتها لمثل هذه الأشكال.

الخاتمة:

استطعنا في هذه الدراسة سبر أغوار الفجوة القائمة في المجتمعات الديموقراطية الحديثة بين قيم العدالة التي عبرت عنها في دساتيرها القائمة واعترف المواطنين بها، وبين الممارسات المؤسسية والفردية التي تتعارض مع هذه القيم العادلة التي تستهدف بعض الجماعات. وللكشف عن هذه المفارقة بين الأهداف والممارسات، تضمنت الدراسة مرحلتين أساسيتين تطلبت منهجين مختلفين:

المرحلة الأولى تمثلت بالكشف عن الجوانب البنيوية الخاصة ببنى الاضطهاد من خلال المنهج البنيوي. أما المرحلة الثانية فتمثلت بالكشف عن خبرات المعيش الخاصة بممارسات الاضطهاد من خلال المنهج الفينومينولوجي الوجودي.

وفي المرحلة الأولى من تحقيقنا استطعنا ربط أشكال الاضطهاد الخمسة التي تعيشها المجتمعات الحديثة، ببنى اضطهادية قديمة تتمثل بعلاقات قوى غير عادلة، تعيد إنتاج نفسها عبر المؤسسات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والدينية، حيث يكمن دور هذه المؤسسات والقيم التابعة لها في المحافظة على العلاقات الغير عادلة في المجتمع من خلال دورها الأساسي في تشكيل وإعادة انتاج الجماعات المضطهدة. وهذا ما يفسر استمرارية الممارسات الاضطهادية في المجتمعات الحديثة من خلال القيم المتوارثة عن طريق الهويات الجمعية التي تعيد إنتاجها النظم القديمة المتوغلة في المؤسسات. في المرحلة الثانية. تم التركيز على الكيفية التي يعيش فيها الأفراد علاقات الاضطهاد من خلال مفهومين أساسيين في التحليل الفينومينولوجي الوجودي وهما "عالم –الحياة" والذات المتجسدة. إذ يتضمن عالم–الحياة العالم كمعطى ثقافي وعمومي مسبق، وهذا ما يفسر انتقالية واستمرارية بُنى الاضطهاد عبر التاريخ. كما يقدم مفهوم "الذات المتجسدة" النواة الأولى لتشكيل الهوية الجمعية الخاصة بالجماعات المضطهدة. وقد تم توسيع مفهوم "الذات المتجسدة" من مفهوم "الدازاين" والذي يكشف عن الصفة الجمعية "الهم" المصاحبة للدازاين والتي تتشكل من خلال الأدوار والأدوات المجتمعية التي تتسم بصفات "العمومية" و"المعيارية". وهذا ما يفسر تشكيل الجماعات المضطهدة واستمراريتها عبر الزمن. ومن خلال فلسفة ميرلوبونتي فقد كشفنا عن الممارسات المتجسدة وارتباطها بالإدراك. كما كشفنا أيضا عن الجانب العاطفي والقيمي المرتبط بالإدراك؛ والذي منه يمكن تفسير ظاهرة التنميط الاجتماعي وما تصاحبها من ممارسات الكراهية والنفور، والتي يمكن تناقلها عبر الأجيال من خلال الممارسات المتجسدة. وهذا يفسر استمرارية بعض أشكال التنميط في المجتمعات الحديثة.

قائمة المراجع

الكتب العربية:

1. حبيب الشاروني، فكرة الجسم في الفلسفة الوجودية، بيروت: التنوير للطباعة والتوزيع، 2009.
2. حنان الخلف، "الجماعة من منظور الفينومينولوجيا الوجودية: مقاربة آيرس يونغ أنموذجا"، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، مجلس النشر العلمي – جامعة الكويت، العدد 157.
3. حنان الخلف، "الفضاء الاجتماعي من منظور الفينومينولوجيا الوجودية لموريس ميرلوبونتي: دراسة نقدية لمنهجية إميل دوركايم"، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، مجلس النشر العلمي – جامعة الكويت، العدد 159.
4. مارتن هيدغر، الكينونة والزمان، ترجمة فتحي المسكيني، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، 2012.

الكتب الأجنبية

5. Alexander Wendt, *Social and International Relations*, Cambridge: Cambridge University Press, 2000.
6. Antony Giddens, *The Construction of Society*, Berkeley and Los Angeles: University of California Press,1984.
7. David Carr, *Husserl's Phenomenology: A Textbook, Ed. J. N. Mohanty and William R. Mckenna*, Washington: Centre for Advanced Research in Phenomenology and University Press of America, 1989.
8. Edmund Husserl, *the Crises of European Sciences and Transcendental Phenomenology*, Trans. David Carr, Evanston: Northwestern University, 1970.
9. Hubert Dreyfus, *Being and Time*, Trans. Macquarie, J. and Robinson E., New York: Harper and Row, 1962.
10. Iris Marion Young, *Justice and the Politics of Differences*, Princeton: Princeton University Press, 1990.
11. Iris Marion Young, *On Female Experiences: Throwing like a Girl and Other Essays*, Oxford: Oxford University Press, 2005.
12. Marry Jeanne Larrabee Ed., *An Ethics of Care: Feminist and Inter disciplinary Perspective*, Milton Park: Routledge, 2016.
13. Martin Heidegger, *Being and Time*, Trans. John Macquarie and Edward Robinson trans., New York: Harper and Row, 1962.
14. Maurice Merleau-Ponty, *Phenomenology of Perception*, Trans. Colin Smith, London: Routledge and Dean Paul, 1962.
15. Patrick A. Heelan, *Husserl's Phenomenology: A Textbook*, J. N. Mohanty and William R. Mckenna Ed., , Washington: Centre for Advanced Research in Phenomenology and University Press of America, 1989.
16. W.E. B. Du Bois, *the Souls of Black Folks*, Ed. Brent Hayes Edwards, New York: New American Library. 1969.

[1] مفكرة في الفلسفة السياسية والاجتماع ودراسات المرأة. عملت أستاذه في جامعة شيكاغو في الولايات المتحدة. لها اسهامات ثرية في موضوعات العدالة الخاصة بالجماعات، الدراسات الجنسانية.

[2] ما تقصده يونغ هنا هو الهيمنة الثقافية.

[3] ما نقصده بالفلسفة المتأخرة هو التوجه الفلسفي الذي يتعلق بكتاب *أزمة العلوم الأوروبية والفينومينولوجيا المتعالية*.

[4] "Lebenswelt" according to German language, "Life-world" according to English language. ويترجمها إسماعيل مصدق بعالم العيش.

[5] Pregiven

[6] هذين المفهومين قد طرحهما هسرل في كتابه (أزمة العلوم الأوروبية والفينومينولوجيا المتعالية) الذي توفى قبل أن يكمله.